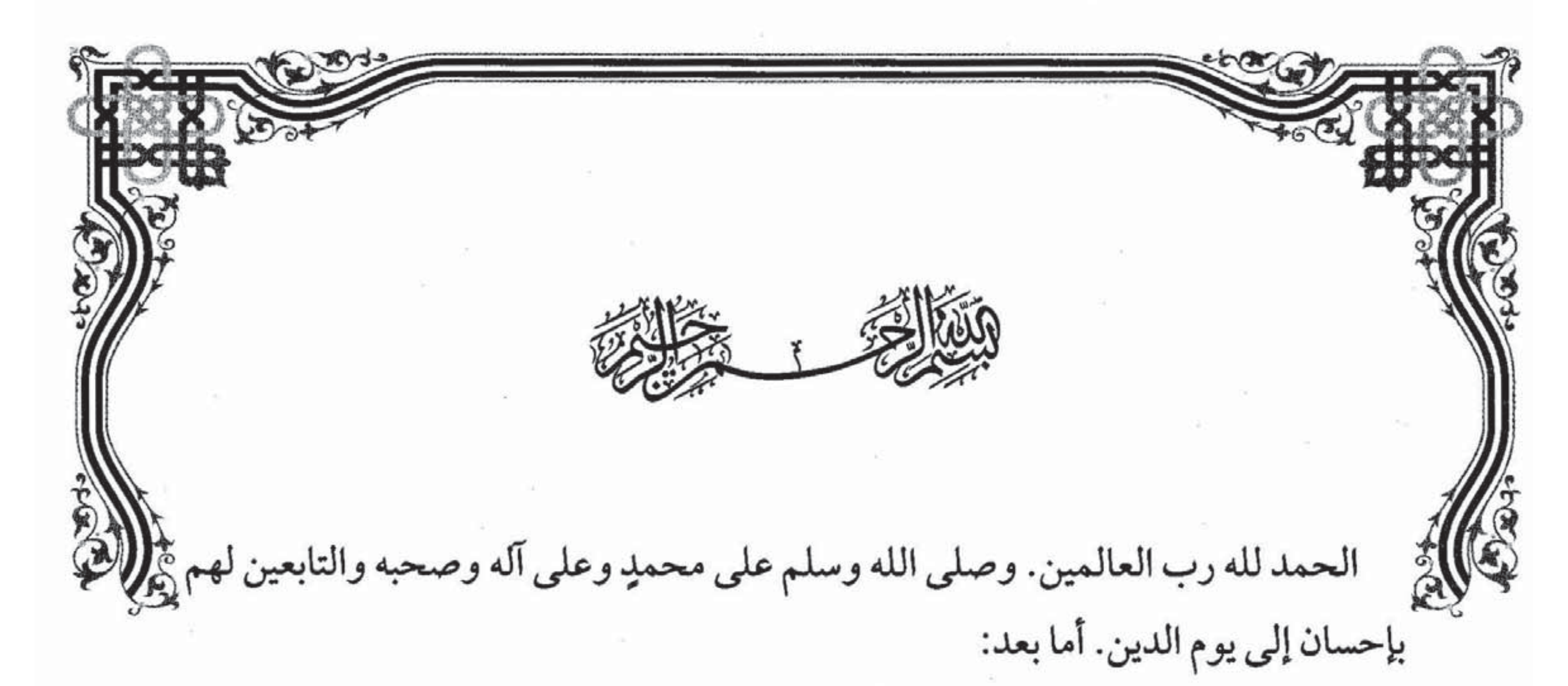


تأليف
الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
رحمه الله

تم الاعتماد في تحقيق هذا الكتاب على عدة طبعات
أبرزها نشرة الدكتور
أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي



الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على محمدٍ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإنه يجب على كل مسلم أن يعتقد ويصدق بكل ما أخبر الله به ورسوله؛ سواء كان الخبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، أو عن مخلوقاته الماضية والحاضرة والمستقبلة، هذا على وجه العموم والإجمال فرضٌ واجب على كل مسلم، لا يتم الإيمان إلا به، فيصدق الله ورسوله في كل أخبارهما. ثم كلما جاءه عن الله، وعن رسوله خبر تفصيلي في ذلك، وجب عليه الإيمان التفصيلي بذلك الخبر المعين؛ الإيمان بلفظ النص، والإيمان بمعناه. هذا أصلٌ مجمع عليه بين جميع المسلمين.

وقد يخبر الشارع عن أمور مستقبلة، فإذا وقعت كما أخبر كان ذلك زيادة إيمان في حق من عرفها، وعرف تأويلها[1]، ومطابقتها لخبر الله ورسوله، وكان آية وبرهانًا على صدق الرسول ﷺ.

وقد يشكل على بعض المؤمنين بعض الأخبار إذا وقعت، وتطبيقها على الواقع. فعلى

---

(١) مراده رحمه الله بالتأويل هاهنا: الحقيقة التي يؤول إليها الخبر. وهو عين ما يوجد في الواقع. ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ ﴾ الآية [الأعراف: ٥٣]. وقول يوسف عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ [يوسف: ١٠٠]. وليس مراده ـ حاشا وكلا ـ التأويل المذموم الذي هو صرف الكلام عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، بلا دليل، أو بدليلٍ باطل. انظر في معاني التأويل، الرسالة التدمرية ص٩١-٩٦.

من أشكل عليه الأمر فيها أن يتوقف في الأمر الذي وقع؛ هل هو المراد بخبر الله وخبر رسوله؟ وهل هو ذلك الموصوف أم لا؟ فمن انتهى إلى ما سمع، وتوقف عما لا يعلم، فقد أحسن في ذلك وسلم، ومن تسرع بالجزم بالنفي أو الإثبات من غير برهانٍ ولا دليلٍ يجب المصير إليه، فهذا من القول بلا علم، وقد علم ما يترتب على ذلك من الوعيد[1].

فالمتعين على كل مؤمن أن يقول بما يعلم، وما تدل عليه الأدلة الشرعية، وأن يتوقف عما لا يعلم نفيًا وإثباتًا. ولهذا أمثلة كثيرة[2]، منها:

---

(١) سيأتي مزيد تقرير لهذا الأصل في ختام الرسالة.

(٢) قدم الشيخ رحمه الله في النسخة المتوسطة من رسالته في يأجوج ومأجوج بمثالٍ آخر نثبته هاهنا بطوله، فقال:

المثال الأول: لما حدثت في هذه الأزمان الأخيرة الصناعات الباهرة، والمخترعات الغريبة من غواصات بحرية، وسيارات برية، وطيارات جوية، ونحوها، وحدث ما هو أبلغ منها، وهو قرب المواصلات الكهربائية بالتلغراف اللاسلكي، والتلفون الهوائي، والإذاعات المدفوعة من الأماكن البعيدة، حتى تتصل بالراديات البعيدة والقريبة، وما يتفرع على ذلك من المخترعات المدهشة، حصل من كثيرٍ من الناس استغرابها جدًا، لعدم فهم أسبابها، ولكن بعضهم توقف عن القول بلا علم فسلم، ومن الناس من حمله الجهل والتسرع على تحريم هذه المخترعات، وتحريم استعمالها، وزعم بعضهم أنها من السحر المحرم، أو من الشرك، واستخدام الشياطين، وهذا جهل محض، وجراءة صِرفة، فلو أنهم صبروا حتى يتبين لهم أمرها، ويزول اشتباهها، لكان خيرًا لهم. والله غفور رحيم.

وأما من عرف حقيقة الأمر، فإنه يعلم أن هذه من الصناعات التي أقدر الله عليها الآدميين، وأذن لهم في استعمالها، بل أمر بها حيث لا تتم المصلحة الدينية، أو الدنيوية، أو كلاهما، إلا بها، وعرف أنها من أبلغ ما يدخل في قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٥]. وأن الله تعالى أعدَّ الآدمي لعلوم ومخترعات كثيرة، وأن الآدمي لا يزال في ازدياد ورقي في العلوم الدينية والكونية، وأن من منع ذلك فقد ضيق رحمة الله، وتحجر
فضله، وقال قولًا ينادي على جهله، فكما يجب شكر الله على تعليمه للعبد العلوم الدينية، فيجب شكره على تعليمه العلوم الكونية، لا سيما إذا أعانت على الخير، وتوقف قتال الأعداء ومدافعتهم =

ما ورد في الكتاب والسنة من الخبر عن يأجوج ومأجوج، وما هم عليه من الصفات التي

= عليها. وكذلك يعرف البصير أنها داخلة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٨]. فأخبر أنه في مستقبل زمان نزول القرآن، أنه سيخلق من الأمور المستعملة في ركوب الآدميين ومصالحهم المتنوعة ما لا يعلمه الناس في ذلك الزمان. وقد وقع كما أخبر، فقد خلق من الصنائع الهائلة، والمخترعات الباهرة، بواسطة تعليمه الآدمي ما لا يعلمه الناس. فلما وقع، كان من آيات الله الأفقية التي قال فيها: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]. فعرف المؤمنون واعترفوا أن وعده حق، وخبره صدق. ثم من نعمته على عباده، ولطفه بهم، أنه أخبر بهذه الأمور على وجه العموم والإجمال، لأنه لو أخبرهم بها على وجه التفصيل لوجد الأعداء المعاندون مقالًا يقدحون به في صحة رسالة محمد ﷺ. فإذا كان الإسراء الذي وقع في وقته ﷺ من جملة المعجزات التي لم تزل موجودة مع الأنبياء، وغير مستغربة، ومع ذلك قال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠]. وذلك أنهم قالوا: هذا محمد يزعم أنه ذهب في ليلة واحدة إلى بيت المقدس، ثم رجع من ليلته، فلجُّوا في تكذيبهم، وافتتن بكلامهم من في قلبه ريب، وضعف إيمان، فكيف لو أخبرهم بوقوع هذه المخترعات في آخر الزمان، وقال لهم: سيغوص الناس في البحار، ويركبون الحديد في مهامة القفار، ويطيرون بين السماء والأرض، ويتخاطبون من مشارق الأرض ومغاربها، لو أخبرهم ببعض هذا على وجه التفصيل لقالوا: مجنون، كذاب، مفتر. ولكن الله لطف وسلم، إنه عليم حكيم، وأيضًا، فهذه المخترعات العجيبة من أعظم ما يدخل في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [الحديد: ٢٥]. فهذا البأس الشديد، والمنافع المتنوعة المتخذة من الحديد من أكبر نعم الله على عباده. وقد تعرف بها إليهم، فوجب عليهم أن يشكروا الله عليها، ويستعملوها فيما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، ويستدفعوا ببأسها الأعداء، ويتخذوا من منافعها ما يثمر لهم الخيرات والمصالح الكثيرة. وأبلغ من هذا كله أنها
أعظم ما يدخل في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وهذا أمر إيجاب، وأمر استحباب بحسب الأحوال. فأمر الله المؤمنين أن يعدوا لأعدائهم كل ما يستطيعونه من قوة عقلية، وسياسة، ورأي، وسلاح، ومخترعات، وحصون مانعة، وأسلحة فتاكة. فمن ظن بجهله أنه لا يدخل فيها إلا الضرب بالسيف، ورمي النشاب، وركوب الخيل، وطعن الرمح، وأن الأسلحة الوحيدة في هذه الأوقات لا تدخل في هذا الأمر، فقلْ له، بحسب إدراكه، أرأيت لو وقع حادث خطير في طرف مملكة من الممالك الإسلامية، فهل لسرعة تلافيه غير الاستعانة =

وصفها الله ورسوله، فظهرت واتضحت، فوصلت إلى درجة اليقين، حين تطبق عليها الأدلة الشرعية، والبراهين اليقينية، والعلم بالواقع. ويوجد كثير من المؤمنين يتوهمون ويظنون ويعتقدون أن يأجوج ومأجوج، إلى الآن لم يظهروا، ولم يعثر عليهم أحد، ولم يبرزوا إلى الناس، وأنهم وراء السد والردم الذي بناه ذو القرنين، وأنهم أمم عظيمة، أضعاف أضعاف الموجودين الآن في الأرض من الآدميين، في جميع جهات الأرض، وفي كل قاراتها الست المعروفة، وفي جزائرها التابعة لهذه القارات. فكل هؤلاء المذكورين عند هؤلاء الناس أقل بكثيرٍ، بما لا نسبة له إلى يأجوج ومأجوج، الذين هم الآن موجودون في الأرض.

وهذا الظن غلطٌ محض، وسببه عدم فهم ما جاء به الكتاب والسنة على وجهه في هذه المسألة، وعدم العلم بالواقع، وعدم العلم بأحوال الأرض وسكانها، مع ورود أحاديث لا خطام لها ولا زمام في صفاتهم[1]. فتولد من ذلك كله إنكار خروجهم، وأن يأجوج ومأجوج غير الأمم الموجودين في أقطار الأرض، المعروفين، من الروس والصين واليابان وأمريكا، وغير سكان آسيا، وسكان إفريقية، وسكان أوروبا، وسكان أمريكا الجنوبية،

= بالمواصلات البرقية، والسيارات، والطيارات، وما يستطاع من أنواع الأسلحة؟!

وهل إذا تقابل الصفان، وتزاحفت الجيوش الكثيرة، واتسع الميدان، وأريد من الجيش أن تكون حركته واحدة، إقدامًا، وإحجامًا، وهجومًا، ودفاعًا، فهل لذلك طريق غير التلفونات البرقية، وآلات النقل السريعة، وتوابع ذلك؟!

وهل إذا دهم العدو بالدبابات المصفحة، والطيارات، والأطواب الثقيلة، والأسلحة الفتاكة الجهنمية، فهل يمكن مقابلتها إلا بمثلها؟!

ولما كانت هذه المسألة واضحة، متبينة مصالحها، معروفة منافعها، صار الذي ينكرها اليوم، وينكر مصلحتها، وأهميتها، من أندر النادر، بحيث لا ينظر إلى قوله، والله أعلم)، اهـ.

ثم ثنى رحمه الله بالمثال الثاني، وهو يأجوج ومأجوج.

(١) انظر على سبيل المثال الأثر الإسرائيلي، الذي رواه ابن جرير عن وهب بن منبه. جامع البيان ١٦/ ١٩. وانظر كلام الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ٥٥٢-٥٦٠ على تلك الأحاديث والآثار.

وأمريكا الشمالية، وغير سكان أستراليا، وتوابع هؤلاء. فيأجوج ومأجوج عند هؤلاء أممٌ غير هؤلاء، وهم في الأرض، وهم أكثر من المذكورين أضعافًا مضاعفة، وأنهم إلى الآن لم يوقف لهم على خبر!

وأمّا من تدبر أوصافهم في الكتاب والسنة الصحيحة الصريحة، وطبقه على الواقع، فإنه لا يشك ولا يستريب أنهم هؤلاء الأمم أو بعضهم. وأن ظهورهم على الوصف الذي وصفوا به في الكتاب والسنة من أعظم الآيات والأدلة على صدق ما جاء به محمد ﷺ. وأن الأوصاف المذكورة في الكتاب والسنة الصحيحة منطبقة عليهم أشد الانطباق.

وسنذكر - إن شاء الله - من أدلة الكتاب والسنة، وكلام المؤرخين الأولين والآخرين والمفسرين ومن الأمور الواقعة ما تعلم به حقيقة هذه المسألة، فهاك ذلك على وجه الاختصار:

الدليل الأول:

إخباره تعالى عن ذي القرنين حين بلغ مغارب الأرض ومشارقها، ثم كرَّ راجعًا من المشرق إلى الشمال[1]، فلما بلغ بين السدين وجد من دونهما، أي من دون السدين الموجودين منذ خلق الله الأرض، وهما سلاسل الجبال المتواصلة يمنة ويسرة حتى تتصل بالبحار، كما قال ذلك غير واحدٍ من المؤرخين، ومنهم ابن كثير في التاريخ[2]. وهو نص القرآن؛ فالسدان كانا موجودين قبل مجيء ذي القرنين لأولئك القوم. ولكن بينهما فجوة، أي ريع[3]، يتصل منه يأجوج ومأجوج إلى ما جاورهم من الناس، فيفسدون قتلاً

---

(١) ليس في خبر القرآن عن ذي القرنين التصريح بجهة «الشمال». ولعل المؤلف استفاد ذلك من كلام بعض المؤرخين والمفسرين، كقول ابن كثير في تاريخه (ومَحَلّته - أي السد - في شرقي الأرض، في جهة الشمال، في زاوية الأرض الشرقية الشمالية) البداية والنهاية ٢/ ٥٥٧.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٢/ ٥٤٩.

(٣) الرِّيع والرَّيع: الطريق المنفرج عن الجبل. لسان العرب(ر ي ع).

وسلبًا ونهبًا وتخريبًا. فلما وصل إليهم ذو القرنين شكوا إليه ما يلقون من يأجوج ومأجوج، فقالوا: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤]. يريدون فقط ذلك الريع والفجوة التي بين الجبال. فقال ذو القرنين: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي﴾ أي من الملك والقوة وكمال العدد والعدة، وحسن النظام وسعة الرزق خيرٌ لي مما تبذلون لي من الجعل. ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أي ساعدوني بأبدانكم وقوتكم على بنيانه ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]. ولم يقل: سدًّا؛ لأن السدين، وهما سلاسل الجبال؛ موجودان. وإنما يريد ردم ما بينهما وسده فقط. ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ أي قطع الحديد. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ أي حاذى ذلك الحديد الذي جمعوه، ووضعوه في ذلك الريع، رءوس الجبال ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]. أي نحاسًا مذابًا، ليلتحم بالحديد، فاستحكم ذلك البنيان، ووازن الجبال، وحجز به بين يأجوج ومأجوج ومجاوريهم، وحمد الله الذي أجرى هذه النعمة على يده، وقال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

فهذه الآيات الكريمات صريحة أن يأجوج ومأجوج من الآدميين، كما ثبت بذلك الحديث الذي في **الصحيحين**، وسنذكره إن شاء الله، وتدل هذه الآيات على أنهم من جنس هؤلاء القوم الذين اشتكوا منهم الأذية، إلا أنهم تميزوا بالإفساد في الأرض، وأن ذا القرنين رحم هؤلاء الذين اشتكوا منهم الأذية، فبنى ذلك الردم الذي ينفذون منه إليهم، وكان ما عن يمين هذا الريع ويساره جبال شاهقة، تتصل ببحارٍ مغرقة، كما هو ظاهر الآيات، وكما صرح بذلك ابن كثير في **البداية والنهاية**[1] وغيره.

وهذا الردم الذي بناه ذو القرنين يسير جدًّا بالنسبة إلى السدود الطبيعية التي عن يمينه وشماله، فلما بناه، صاروا لا يستطيعون أن يظهروا على ذلك البنيان، ولا أن ينقبوه، وكذلك

(١) انظر: البداية والنهاية: ٢/ ٥٤٩، وعبارة ابن كثير رحمه الله: (وكانوا لا يستطيعون الخروج إليهم إلا من بينهما، وبقية ذلك بحار مغرقة، وجبال شاهقة).

لا يستطيعون الصعود على سلاسل تلك الجبال الشاهقة، ولا النفوذ من وراء البحار.

فمكثوا على ذلك مددًا طويلة، وهم منحازون في ديارهم وأماكنهم، لا سبيل لهم إلى النفوذ من تلك الحواجز والحوائل؛ لعدم الأسباب التي تمكنهم من ذلك.

ثم بعد ذلك بمدد ترقت الصناعات، وقويت المخترعات، وتنوعت الأسباب التي مكنتهم من النفوذ من تلك الحواجز والحوائل. وكان مبادي ذلك في وقت النبي ﷺ، من حين قال في الحديث الثابت في **الصحيحين**[(١)]: «**ويل للعرب من شر قد اقترب. فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**». وحلَّق الإبهام والسبابة. وسيأتي إن شاء الله هذا الحديث.

والنبي ﷺ يكثر من ضرب الأمثال التي فيها تقريب المعاني إلى الأذهان، فهم من ذلك الوقت متهيئون[(٢)] للخروج، وحاصلٌ لهم، ومنهم بعض الأسباب التي تمكنهم، وذلك والله أعلم، حين سمعوا بالنبي ﷺ وأمته ودعوته، وأنهم شارعون في فتح البلدان. فعزموا على مقاومتهم، وعملوا الأسباب لذلك. فلم تزل إرادتهم تقوى، وقوتهم تزداد، وشرهم يطغى، حتى انفتحوا من كل مكان. فبرزوا من فوق رءوس الجبال، ونفذوا فوق متون البحار، وصعدوا في جو السماء، فكان هذا مصداقًا لخبر الله ورسوله.

وقد يتوهم بعض الناس أنه لا بد عند خروجهم أن يشاهد الناس الردم منهدمًا، فإذا لم يشاهدوه، فهم إلى الآن خلفه، وهذا غلطٌ واضح من وجوه:

منها: أن النبي ﷺ أخبر أن ابتداء انفتاحه قد ابتدأ في زمانه. وفحوى ذلك الحديث يدل على أنه في ازدياد من وقتٍ إلى آخر، حتى وصلوا إلى هذه الحالة المشاهدة.

---

(١) البخاري (٣٣٤٧، ٧١٣٦)، مسلم (٢٨٨٠).

(٢) هكذا في الأصل، وقد عدلت عن كلمة أخرى، وأثبتت في الهامش. ولا أدري هل التعديل من الشيخ أو من غيره. والذي في النسخة المتوسطة: «متحركون».

وعلى المؤمن أن يصدق الرسول في كل ما يخبر به، ولا يقع في قلبه أدنى ريب من صدقه. فخبر الرسول أصدق من خبر كل أحدٍ من الخلق. وقد أخبر بذلك.

ومنها: أنه لا يلزم من انفتاح الردم المعين في السد أن يراه كل أحد حال انفتاحه، فقد يراه من يجاوره، ويخفى على غيرهم، وقد يصل النقل إلى الناس، وقد لا يصل.

ومنها: أن المقصود من خروجهم قد حصل. فليس في رؤية نفس الردم الذي بناه ذو القرنين كبير آية. بل الآية المقصودة خروجهم، فإذا رآهم الناس قد خرجوا على الناس من كل حدبٍ وصوب، ومكانٍ مرتفع ومنخفض، عرفوا أن السد قد اندك.

ومنها: أن الله أخبر أنه لما بنى ذو القرنين الردم، أنهم لم يستطيعوا أن يظهروه، أي: يعلوا عليه، ولا على السدود الطبيعية، وما استطاعوا له نقبًا، ومعلوم أن عدم قدرتهم على واحدٍ من الأمرين في ذلك الوقت لعدم الأسباب التي توصلهم إلى ظهوره أو نقبه. وأما الآن فلا يعجزون عن صعود أي جبل يكون، وأي سدٍّ يحصل، ولا على نقبه، بل يقدرون على ما فوق ذلك.

فعلم بذلك أنهم استطاعوا في هذه الأوقات على النفوذ والظهور الذي كانوا سابقًا عاجزين عنه. وهذا ظاهر.

ومنها: أن السد عبارة عن سلاسل الجبال التي عن يمين تلك الثنية، وذلك الريع ويساره. والردم منه عبارة عن تلك الثنية التي سدها ذو القرنين. فالآن قد شاهد الناس خروجهم من وراء هذه الجبال والبحار. ألا ترى سلاسل جبال آسيا وأوروبا وغيرها قد خرجوا من ورائها، والبحر الأسود والأبيض، والبحار المحيطات من كل جانب قد عبروها، ونفذوا من ورائها، بعدما كانوا منحازين في ديارهم، غير متمكنين من الخروج؟

فعلم من ذلك أن يأجوج ومأجوج هم هؤلاء الأمم؛ الروس والصين، وأمريكا، والإفرنج، ومن تبعهم، يوضح هذا:

الدليل الثاني:

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾[1] [الأنبياء: ٩٦]. أي حتى إذا انفتحوا على الناس، فبرزوا بعدما كانوا منحازين في ديارهم بهذا الوصف الذي ذكر الله عنهم: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾ أي مكانٍ مرتفع، كالجبال وما فوقها. ﴿يَنسِلُونَ﴾ أي يسرعون. وهذا مطابق لما هم عليه؛ فإنهم في جميع أقطار الدنيا قد انفتحوا على الناس، وأتوهم من كل جانب. ولهذا أتى بأداة التعميم، وهي قوله: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾ فلم يبق جبل إلا صعدوه، ولا بحر عميق إلا عبروه، ولا صعب إلا سلكوه، وأبلغ من ذلك أنهم في جو الهواء ينسلون؛ أي يسرعون بالطائرات التي جابت مشارق الأرض ومغاربها، وجميع جهاتها. فإذا لم يصدق عليهم هذا الوصف، فمن تراه يصدق عليه؟! وإذا لم ينطبق عليهم هذا النعت فأخبرني بمن ينطبق عليه؟!

وفي هذه الآية الكريمة برهانٌ ودليل باهر على الإخبار بحدوث هذه المخترعات التي وصلوا بها إلى هذه الحال؛ لأن إخبار الله ورسوله بشيء إخبار به، وبما لا يتم ذلك إلا به، وذلك أنه لا يحصل تمكنهم من الإسراع والنسلان من كل حدبٍ إلا بالصنائع الراقية، والمخترعات المدهشة.

الدليل الثالث:

ما ثبت في **الصحيحين** عنه ﷺ أنه قال: «**يقول الله لآدم: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك. فيقول: أخرج من ذريتك بعث النار. فيقول: يا رب وما بعث النار؟! قال: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون في النار، وواحد في الجنة**». فضج الناس حين حدثهم النبي ﷺ بهذا الحديث. قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الرجل؟ فقال: «**أبشروا، فإنكم في أمتين،**

(١) لا يلزم أن يكونوا كل هؤلاء المذكورين، بل بعضهم. انظر مقدمة التحقيق.

ما كانتا في شيء إلا كثرتاه؛ يأجوج ومأجوج»[1]. وفي لفظٍ: **«وما أنتم في الناس إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض»** الحديث[2].

فهذا الحديث صريحٌ في أنهم من ذرية آدم. وسيأتي كلام أهل السير والتاريخ أنهم من ذرية يافث بن نوح، وأن الترك طائفة منهم، وأنهم سموا تركًا لأنهم تركوا خلف ردم ذي القرنين، كما ستأتي الإشارة إليه[3].

وهذا الحديث مطابقٌ لأحوال هذه الأمم الموجودين؛ الروس، والصين، واليابان، والفرنج، ومَن وراءهم من أهل أمريكا، فإنه وصفهم بالكثرة العظيمة، وأن العرب ومن جاورهم بالنسبة إليهم كالشعرة الواحدة بالنسبة إلى شعر جلد الثور. ووصفهم بكثرة الكفر، وأنهم جمهور بعث النار، وذلك لكفرهم، وعدم إيمانهم بمحمد ﷺ، وقلة إيمانهم بسائر الأنبياء الإيمان الصحيح. فإنهم في أزمانٍ متطاولة لا يكاد يوجد فيهم إسلام. ثم بعد ذلك وجد فيهم إسلام قليل جدًّا بالنسبة إلى كثرتهم. فإذا لم يكونوا هذه الأمم، فمن يكونون؟

وإذا أردت النسبة بين العرب ومن جاورهم من الأمم الإسلامية، وبين تلك الأمم، رأيت الأمر كما ذكر النبي ﷺ، والذي يعارض ويظن أنهم غير هؤلاء يدعي ويعتقد أنهم أممٌ أكثر من المذكورين بأضعافٍ مضاعفة، وأنهم إلى الآن خلف السد لم يُطَّلع عليهم!

فَيَاللهِ! أين هؤلاء، وأين محلهم؟ وأين ديارهم الواسعة من الأرض، وقد اكتشفت جميع قارات الأرض، وما يتبعها من الجزائر؟ وسيأتي إن شاء الله بيان فساد هذا الغلط والظن[4].

(١) البيهقي في شعب الإيمان (٣٥٥).
(٢) البخاري: (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣)، مسلم (٢٢٢).
(٣) انظر: الدليل العاشر من هذه الرسالة ص٢٨٨.
(٤) انظر: الدليل السابع، والدليل الثامن من هذه الرسالة ص٢٨٥، ٢٨٦.

واعلم أن الآيات الكريمة، والأحاديث الصحيحة، وكلام العلماء العارفين ظاهرة ظهورًا لا ريب فيه أن يأجوج ومأجوج من الآدميين، وأنهم ليسوا عالمًا غيبيًّا، كالجن والملائكة، لا يشاهدهم الناس، بل هم ظاهرون محسوسون مشاهدون. فلا يمكن لأحدٍ أن يقول: قد يكونون موجودين، وقد حجب الله عنهم الأبصار. فلو قال أحدٌ هذا القول، عُرف أنه خلاف الأدلة الصحيحة، وخلاف الواقع. وهو قولٌ بلا علم. بل قول منافٍ لما علم من الآيات والأحاديث أنهم آدميون يشاهدون، ويفسدون في الأرض، ويجوبون مشارق الأرض ومغاربها، وغير ذلك من صفاتهم.

الدليل الرابع:

ما ثبت أيضًا في **الصحيحين** عنه ﷺ أنه قال ذات يوم: «**ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب؛ فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وحلَّق بين الإبهام والتي تليها[1].

فهذا دليلٌ صريح صحيح أنه من ذلك اليوم الذي تكلم به النبي ﷺ قد وجد بعض الأسباب الداعية لخروجهم، وأنه لا يزال السبب يقوى وقتًا بعد وقت، وسواء كان المعنى أنه مثل ضربه النبي ﷺ يقصد به تقريب الحقيقة إلى الأذهان، وأنهم قد ابتدءوا في السعي إلى الخروج والاندفاع في الأرض، أو أن ردم يأجوج ومأجوج انفتح منه ذلك الوقت هذا المقدار، وأنه لا يزال في زيادة حتى زال واندك[2].

---

(١) تقدم تخريجه ص٢٧٣.

(٢) وقد جمع ابن كثير، رحمه الله، بين الحديث السابق، وقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]. بقوله: (أما على قول من ذهب إلى أن هذا إشارة إلى فتح أبواب الشر والفتن، وأن هذا استعارة محضة، وضرب مثل، فلا إشكال. وأما على قول من جعل ذلك إخبارًا عن أمر محسوس، كما هو الظاهر المتبادر، فلا إشكال أيضًا، لأن قوله: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ أي في ذلك الزمان، لأن هذه صيغة خبر ماض، فلا ينفي وقوعه فيما يُستقبَل، بإذن الله لهم في ذلك قدرًا، وتسليطهم عليه بالتدريج قليلًا قليلًا، حتى يتم الأجل، =

وإذا قال قائل؛ لِمَ لَمْ يشاهد الناس اندكاكه؟ فقد مضى الجواب عن هذا الإشكال[1].

ويقال أيضًا: إذا كان من زمان النبي ﷺ، وقد انفتح منه هذا المقدار، ولولا كلام النبي ﷺ لم يدر المسلمون عن انفتاحه، مع قوله: «**ويل للعرب من شر قد اقترب**»، ثم إخباره بمقدار ما انفتح منه فيه دليل ظاهر أنه انفتح بعضه، وأنه عن قريب ينفتح جميعه، ويخرجون على الناس. وأيضًا ففي الحديث هذا وصفٌ ظهر ظهورًا جليًّا، لا يشك فيه من عرف الواقع. فإن النبي ﷺ توعد العرب بالشر القريب الذي يقع بهم من يأجوج ومأجوج، فمن عرف حالة العرب والإسلام، وكيف توسع الفتح الإسلامي في المشارق والمغارب، وكيف حصل للعرب من العز بالإسلام وانتشاره ما لا يعرف لغيرهم، ثم كيف تداعت عليهم الأمم كما تداعت الأكلة على الصحفة، كما أخبر به الصادق المصدوق[2]، ثم كيف تقلص الإسلام، وزال عز العرب عن تلك الممالك الإسلامية، وكيف وقعت بهم تلك الدواهي العظام، والشرور الجسام شيئًا فشيئًا حتى وقعت داهية التتر[3] العظيمة، الذين هم من عنصر يأجوج

= وينقضي الأمد المقدور، فيخرجون، كما قال الله: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]) البداية والنهاية ٢/ ٥٥٨.

(١) راجع ما جاء في الدليل الأول من هذه الرسالة، ؟؟؟؟.

(٢) يشير إلى حديث ثوبان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها**». الحديث.. أخرجه أحمد (٢٢٤٩٨) وأبو داود (٤٢٩٧).

(٣) وهي من أعظم الفتن التي حاقت بالمسلمين، حتى أن ابن الأثير (٥٥٥-٦٢٠) رحمه الله، قال في تاريخه: (لقد بقيت عدة سنين معرضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظامًا لها، كارهًا لذكرها. فأنا أقدم إليه رجلًا، وأؤخر أخرى. فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟! ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟! فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسيًا منسيًا... فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم، وإلى الآن لم يُبتلوا بمثلها، لكان صادقًا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها، ولا ما يدانيها... ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا، إلا يأجوج ومأجوج)، الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٣٣ حوادث سنة ٦١٧هـ.

هذا وهو، رحمه الله، لم يعش حتى يشهد بقية فتنتهم، وسقوط بغداد، عاصمة الخلافة الإسلامية، =

ومأجوج، ومن نفس ديارهم، كما ذكره أهل السير، ومنهم ابن كثير رحمه الله[1].

ولم تزل الشرور تتوالى على المسلمين عمومًا، وعلى العرب خصوصًا من هذه الأمم حتى وصلت إلى هذه الحالة الموجودة اليوم، التي يرثى لها. ونرجو الله أن يلطف ببقية المسلمين والعرب، وأن يدفع عنهم من الشرور ما لا يدفعه غيره. فهذه الشرور التي أشرنا لها، وهي معروفة هي وأضعافها وأضعاف أضعافها، من أين أصابت المسلمين عامة، والعرب منهم خاصة، إلا ممن أخبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى بوقوعها منهم، وهم يأجوج ومأجوج. ولهذا كان بعض العلماء المتأخرين العارفين بأحوال الأمم؛ كالأمير شكيب أرسلان وغيره يرون أن يأجوج ومأجوج هم دول السوفييت أو بعضهم، ولا ريب أنهم منهم، بل هم مبتدأهم، وابن كثير في **تاريخه** جزم بأنهم «منغوليا» الذين تفرعت عنهم التتر، والصين، واليابان، والروس، وغيرهم من الأوروبيين، كما ذكر ذلك المعتنون بالأنساب، ومن وراءهم من الأمم؛ كأمريكا، حكمهم حكمهم.

= وما جرى من الحوادث العظام، كما بسط ذلك ابن كثير، رحمه الله، في البداية والنهاية: ١٧/ ٣٥٦-٣٦٤، حوادث سنة ٦٥٦هـ.

وقد ابتدأت هذه الفتنة عام ٦١٧هـ من أطراف الصين، وانتهت، أو كادت، عام ٦٥٨هـ في عين جالوت، في الشام.

(١) قال ابن كثير، رحمه الله، في تاريخه: (فيأجوج ومأجوج طائفة من الترك، وهم مغل المغول. وهم أشد بأسًا، وأكثر فسادًا من هؤلاء، ونسبتهم إليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم. وقد قيل: إن الترك، إنما سموا بذلك، حين بنى ذو القرنين السد، وألجأ يأجوج ومأجوج إلى ما وراءه، فبقيت منهم طائفة لم يكن عندهم كفسادهم، فتركوا من ورائه. فلهذا قيل لهم. الترك) البداية والنهاية ٢/ ٥٥٣.

وقال في التفسير: (إنما سمّوا هؤلاء تركًا، لأنهم تركوا من وراء السد، من هذه الجهة، وإلا فهم أقرباء أولئك). يريد يأجوج ومأجوج. تفسير القرآن العظيم ٥/ ١٩٥.

وقال في كتاب الفتن والملاحم، الملحق بالتاريخ: (وهم كالناس، يشبهونهم، كأبناء جنسهم من الترك الغُتْم، المغول، المخرزمة عيونهم، الذلف أنوفهم، الصهب شعورهم، على أشكالهم وألوانهم) البداية والنهاية: ١٩/ ٢٣٩.

فهذه الأوصاف المتنوعة التي وصفوا بها بالكتاب والسنة، لا يشك من فهمها تمامًا وفهم الواقع أنها تنطبق على هؤلاء الأمم، وأما ما يوجد من الآثار الدالة على طولهم المفرط، وقصرهم المفرط، وصفاتهم المخالفة لصفات الآدميين، فكلها كذب[1]، مخالفة للنصوص الصحيحة وللواقع، لا يحل اعتقادها والاعتماد عليها، فضلًا عن تقديمها على دلالة النصوص الصحيحة؛ فهي وإن ذكرها بعض الناس، فقد أولع كثير من المصنفين بذكر أحاديث وآثار لا زمام لها ولا خطام، ومجرد ما يراها البصير يعرف مخالفتها لما دلت عليه النصوص الصحيحة.

فإن قلت: فقد ورد في صحيح مسلم، في حديث النواس بن سمعان الطويل أن يأجوج ومأجوج حين يقتل عيسى ابن مريم الدجال، فيقول الله له: قد أخرجت عبادًا لي، لا يدان لأحدٍ بقتالهم[2]، فحرز[3] عبادي في الطور، وأنهم يخرجون فيشرب أوائلهم بحيرة طبرية، ويمر عليها آخرهم، فيقول قد كان ههنا ماء، وأنهم يرمون بنُشَّابهم[4] إلى السماء فتعود عليهم مخضوبة دمًا، فيقولون: قد قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء[5].

فالجواب عن هذا من وجوه:

الأول: أن هذا الحديث على فرض مخالفته ومناقضته لما دلت عليه تلك النصوص، فإنه

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: (ومن زعم أن يأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم حين احتلم، فاختلط بتراب، فخلقوا من ذلك، وأنهم ليسوا من حواء... وهكذا من زعم أنهم على أشكالٍ مختلفة، وأطوال متباينة جدًا، فمنهم من هو كالنخلة السحوق، ومنهم من هو غاية في القصر، ومنهم من يفترش أذنًا من أذنيه، ويتغطى بالأخرى، فكل هذه أقوال بلا دليل، ورجم بالغيب بغير برهان. والصحيح أنهم من بني آدم، وعلى أشكالهم وصفاتهم). البداية والنهاية ٢/ ٥٥٣، ٥٥٤.

(٢) أي لا قدرة ولا طاقة. كأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه.

(٣) أي ضمهم، واجعله لهم حرزًا. والحرز: الموضع الحصين.

(٤) سهامهم.

(٥) قطعة من حديث طويل، أخرجه الترمذي (٣١٥٣)، وابن ماجه (٤٠٨٠).

لا يقاومها، ولا يقدم ما يظهر من دلالته على دلالتها. هذا على وجه التنزل، وإلا فليس ولله الحمد بينها مخالفة.

الوجه الثاني: أن دلالة تلك النصوص على صفاتهم المذكورة المشاهدة عيانًا، دلالة يقينية، لا يمكن أن يرد ما يخالفها ويناقضها.

الثالث: أن إخباره بخروجهم بعد قتل عيسى للدجال، وقتل المسلمين لليهود لا يدل على أنهم لم يخرجوا قبل ذلك. بل هذا خروج من محل إلى محل، فإن يأجوج ومأجوج يأتون حنقين، متغيظين، على عيسى ومن معه من المؤمنين، يريدون الإيقاع بهم، فيكبتهم الله ويقمعهم، ويلقي عليهم الموت الذريع. ومما يدل على أن البعث والإخراج لا يراد به ابتداء الخروج والبعث، بل يراد به البعث والخروج من محل إلى محل آخر، آيات متعددة، مثل قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ [الحشر: ٢]. فهذا خروج من محل إلى محل. وكذلك قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥]. ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ٥٧]. الآيات. إلى غير ذلك من الآيات الدالات على أن المراد: الخروج، والإخراج من محل إلى آخر، ليس المراد به الإخراج الابتدائي.

ومثل ذلك البعث، كقوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥]. وهذا بعث لهم من البلاد الجزرية إلى البلاد الشامية[(١)]، نظير ما في بعض ألفاظ حديث النواس: «**بعثت عبادا لي، لا يدان لأحد بقتالهم**»[(٢)]. من غير فرق. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣١]. ليس المراد ببعثه إنشاء خلقه، وإنما المراد به: فأرسل الله غرابًا يبحث في الأرض. ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]. ومعناه: عيِّن لنا ملكًا، وهذا ظاهر بيِّن ولله الحمد.

---

(١) أي من الجزيرة، ما بين النهرين، من أرض العراق، وهو بعث بختنصر أو سنحاريب إلى بني إسرائيل في الشام وبيت المقدس.

(٢) مسلم (٢٩٣٧).

الوجه الرابع: أن النبي ﷺ كثيرًا ما يمثل للناس بما كانوا يعرفون، خصوصًا في الأمور التي لم يشاهد المسلمون لها مثيلًا، ولا نظيرًا في ذلك الوقت. فإخباره ﷺ برميهم بنشابهم إلى السماء إلى آخره يدل على قوتهم وقهرهم لأهل الأرض بسلاحهم ومخترعاتهم. وكأنَّ في هذا إشارة إلى طيرانهم في الأفق[1]، وإلا فمن المعلوم أن سلاح النشّاب ونحوه من السلاح الأول الضعيف قد نسخ من زمان، وأن الأسلحة لا تزال في رقي وازدياد، ولا يرجى في وقتٍ من الأوقات أن يعود الناس إلى سلاح النشاب[2] ونحوه، بل الذي يدل عليه الاستقراء والتتبع للأحوال أن السلاح يترقى ترقيًا فاحشًا، ينسي هذا السلاح الموجود، حتى يكون مادة هلاك الخلق وتدميرهم، ويقع ما أخبر به النبي ﷺ من فناء الرجال بالقتل، حتى يكون قيِّم خمسين امرأة رجل واحد[3].

والرسول ﷺ لا يخبر بما تحيله العقول، بل كلامه فيه الشفاء، والعصمة، والنور، والبرهان، والحق، واليقين. وأما ما فيه من ذكر ماء البحيرة، وأنهم يشربونه، فإما أن ذلك إشارة وتنبيه على كثرتهم العظيمة التي هم في الحقيقة عليها، وإما أن ماء البحيرة سيستخرجونه بالآلات إلى عمارة حروثهم، وزروعهم، حتى ينشفوها. وهذا شرب حقيقي. ويدل على هذا أن ماء البحيرة، لو اجتمع جميع من على وجه الأرض من الآدميين والحيوانات، فشربوا منها بأفواههم لم ينشفوها. والنبي ﷺ ينزه أن يتكلم بخلاف الواقع. فتعين أحد التأويلين[4]، إن

---

(١) في هذا تأويل ظاهر، ورسول الله ﷺ أعلم بما قال، كيف وقد حقق ذلك بقوله: **«فتعود عليهم مخضوبة دمًا»**. وقد كان يسع النبي ﷺ أن يعبر بما يحتمل المعنى الذي ذكر الشيخ، كأن يقول: «بسلاحهم»، فضلًا عن أن يحقق ذلك بوصف يتعلق بالنشاب، فالمتعين حمل النص على ظاهره.

(٢) لا يمتنع أن يفضي الأمر إلى تدمير الأسلحة الحديثة الفتاكة، وأن يعود الناس في آخر الزمان إلى استعمال الأسلحة البدائية، ولهذا النص نظائر كثيرة في أحاديث الملاحم، آخر الزمان.

(٣) البخاري (٨١).

(٤) بل المتعين ما أخبر به المعصوم ﷺ، دون حاجة إلى تأويل، حيث قال: **«فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرةً ماء»**. رواه مسلم رقم (٢٩٣٧).=

كان حديث النواس بن سمعان محفوظًا[1]، جمعًا بين النصوص، ويدل على التأويل الأخير أن الصهيونيين الذين أكثرهم من عنصر الفرنج، الذين أتوا من البلاد الخارجية، لا زالوا يستخرجون ماء البحيرة بالمكائن وغيرها، ولا زالوا مُجِدِّين على هذا الأمر[2]. ولا بد أن يقع جميع ما أخبر الله به ورسوله.

الدليل الخامس:

ما تواترت به الأخبار من أصناف العلماء؛ من المفسرين، والمؤرخين، وأهل السير والأنساب، من المتقدمين، والمتأخرين، واتفاق محققيهم أن يأجوج ومأجوج في شمالي آسيا، وأنهم جيران الأتراك، وأن الأتراك قيل لهم: ترك، لأن ذا القرنين لما ردم على يأجوج ومأجوج، وترك منهم هذه الطائفة، فقيل لهم: الترك، لأنهم تركوا خلف السد. فالترك منهم، والباقون جيرانهم المتصلون بهم في بلاد تركستان. وقد ذكر ذلك غير واحدٍ من المؤرخين والمفسرين، حتى كاد أن يكون اتفاقًا منهم على هذا.

ومن وراءهم من الأمم تبع لهم، وفرع عنهم. وأيضًا، فإنهم ذكروا أن أولاد نوح الذين انسلوا، ثلاثة: سام، وهو أبو العرب ومن جاورهم، وحام، وهو أبو السودان والبربر، وجميع

= فكونه إشارة وتنبيه على كثرتهم العظيمة لا يمنع من إرادة الظاهر، وأما التأويل الثاني فبعيد جدًّا، وليس في الإخبار به مزية. فإنه لم يزل الناس يستخرجون المياه من البحيرات والغدران بالوسائل القديمة والحديثة. وربما تنضب أحيانًا.

ومع ما ذهب إليه الشيخ، رحمه الله، في التأويل الثاني، فإن بحيرة طبرية لم تنشف حتى الآن. وسياق الحديث النبوي يدل على أن الطائفة الأولى من يأجوج ومأجوج شربت ماء البحرية شربًا حقيقيًا، لا أنها حرثت، وزرعت، وسقت.

(١) هو بحمد الله محفوظ، لا مخالف له، رواه الإمام مسلم في صحيحه، برقم (٢٩٣٧).

(٢) الصهيونيون، وإن كان كثير منهم قدم من بلاد الإفرنج، إلا إنهم يهود من نسل سام بن نوح، وليسوا من يأجوج ومأجوج نسل يافث، الذين جاء الخبر بشربهم بحيرة طبرية. فما يقع من استخراج مائها بالآلات والمكائن من الصهيونيين وغيرهم ليس هو تحقيق خبر النبي ﷺ في يأجوج ومأجوج.

أهل إفريقية، ويافث، وهو أبو الصقالبة، والترك، ويأجوج ومأجوج، والتتر، ومن تفرع عنهم من أهل الصين، واليابان، وبلاد الإفرنج، ونحوها. وكلام المفسرين، وأهل الأنساب في هذا الموضع، وفي هذا المعنى كثير جدًّا، لا يمكن نقله في هذه الرسالة المختصرة[1].

والمنصف إذا عرف الواقع، وأين ديار الترك، ومَنْ جيرانهم، عرف أن كلام هؤلاء العلماء صريحٌ أنهم هؤلاء الأمم الذين ذكرنا، وليكن على بالك أن يأجوج ومأجوج ليسوا عالمًا غيبيًّا، وإنما هم آدميون، بارزون، محسوسون، كما دلت على ذلك أنواع الأدلة.

الدليل السادس:

أن الشارع لا يخبر بأمرٍ تحيله العقول، ويكذبه الحس والواقع.

بل أخباره كلها لا يعارضها حس ولا عقل صحيح، ولا غيرها من الأمور العلمية، ومن زعم أن يأجوج ومأجوج غير هؤلاء الأمم الذين ذكرنا، فإن قوله يتضمن المحال، لأن هذا القائل يدعي، ويعتقد أنهم أمم عظيمة من بني آدم، وأنهم أكثر من هؤلاء الأمم الذين يعرفون الآن على وجه الأرض كلها بأضعافٍ مضاعفة، وهذا قول محال ينزه الشارع من أن ينسب إليه هذا القول، لأنه يطرِّق[2] الكافرين والمعاندين إلى القدح في الشارع، ويقولون: كيف يخبر عن أممٍ على وجه الأرض، أكثر من الموجودين في القارات الست وتوابعها؟! فأين هم؟! وأين ديارهم؟! والأرض كلها مكشوفة، وقد اكتشفها الناس قطرًا قطرًا. ولم يبق محلٌّ

(١) انظر على سبيل المثال: تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري. ١/ ١٢٤-١٣٢. وقد روى في ذلك أحاديث مرفوعة، وآثارًا عن السلف، ومسلمة أهل الكتاب، ومنه قوله عن وهب بن منبه: (.. وإن يافث أبو الترك، وأبو يأجوج ومأجوج، وهم بنو عم الترك) وقال أيضًا: (ومن ولد موعج: يأجوج ومأجوج وهم في شرقي أرض الترك والخزر).
وانظر كلام المفسرين على قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧].

(٢) تطرّق إلى الأمر: ابتغى إليه طريقًا. لسان العرب (ط ر ق).

من الأرض إلا وصل إليه علم الناس، إلا جهة قليلة جدًّا تحت مدار القطبين[1]، وقد غمرتها الثلوج، لا يمكن أن يعيش فيها آدمي، ولا حيوان، ولا نبات، لشدة بردها، وعدم وصول الشمس إليها، وهي رقعة صغيرة جدًّا بالنسبة إلى الأرض المكتشفة، فمجرد تصور العارف لهذا القول يكفي في رده. يوضح هذا توضيحًا تامًّا:

الدليل السابع:

أن قارات الدنيا كلها، القديمة والحديثة، ست قارات:

الأولى: آسيا: من البحر الأحمر والأبيض غربًا، إلى أقصى بلاد سيبيريا من بلاد الروس شمالًا، وإلى البحر الهادي شرقًا، إلى البحر الأسود وأكرانيا مما يلي أوروبا غربًا.

الثانية: إفريقيا: وشرقيها البحر الأحمر إلى المحيط الأطلسي غربًا.

ومن البحر الأبيض شمالًا إلى المحيط الأطلسي المتصل بالمحيط الهندي جنوبًا.

الثالثة: قارة أوروبا: التي يحدها البحر الأبيض جنوبًا، إلى البحر الشمالي، ثم الأطلسي شمالًا وغربًا. ومن بلاد الأندلس غربًا إلى بلاد أوكرانيا السوفيتية شرقًا.

الرابعة: أستراليا: وهي قارة واقعة في الشرق الجنوبي، في وسط المحيط الهادي.

الخامسة: أمريكا الجنوبية: وهي الواقعة من خليج بنما، من المحيط الأطلسي شمالًا، وتنتهي إلى البحر الهادي جنوبًا.

السادسة: أمريكا الشمالية: تتصل من غرب بالبحر الأطلسي، والبحر الشمالي. ومن شرق تتصل بالمحيط الهادي.

فهذه قارات الأرض كلها، باتفاق العارفين بها. ويتبعها جزر صغيرة وكبيرة ملحقة بهذه

---

(١) ربما كان ذلك في زمن المؤلف، رحمه الله، أما الآن فلم يبق موضع إلا وصلته الكشوف، وتم تصويره عن طريق الأقمار الصناعية.

القارات. وهذه القارات قد عرفها الناس كلها معرفة تامة، وعرفوا أجناس أهلها وأصنافهم، وتغلغل علمهم إلى معرفة إحصائياتهم، وتيقنوا يقينًا لا شك فيه أن المذكورين في هؤلاء القارات الست هم أهل الأرض، وأنه لا يوجد على وجه الأرض سواهم. فمتى أخبرنا مخبر أن في الأرض غير هؤلاء المذكورين من بني آدم، أكثر من المذكورين من بني آدم بأضعاف مضاعفة، علمنا غلطه الفاحش، وأنه خلاف الواقع المقطوع به. يوضح هذا ويزيده بيانًا.

الدليل الثامن:

وهو أنه قد ثبتت كروية الأرض ثبوتًا لا امتراء فيه، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير، وغيرهم هذا، وذكر شيخ الإسلام أن دلالة الكتاب والسنة على هذا القول ظاهرة. كما أنه قد اتفق عليه أهل المعرفة، وقد كان في الزمان الماضي يوجد من يعارض في كروية الأرض من أهل العلم قبل اكتشافها، ويظن أن كرويتها تنافي سطحيتها، وهذا غلط؛ فإن الجسم العظيم المسطح قد يكون مكورًا مستديرًا. قال تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠]. أي: مدت ومهدت ووسعت لجميع منافع الآدميين. وقال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥]. والتكوير هو الاستدارة، كاستدارة العمامة على الرأس. وقال تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

ثم إن الواقع المعروف معرفةً لا شك فيها يوافق هذا. وبعد ظهور المخترعات، والمقربات، وقرب المواصلات، صارت كروية الأرض معروفة لكل أحد له معرفة بالأرض. وقد يتمكن الإنسان في كل وقتٍ أن يعرف أوقات جهات الأرض، ويعرف أن ليل بعض الجهات نهار لجهات أخرى، وبالعكس، وأن الشمس لا تزال تجري في فلكها، إذا طلعت على جانبٍ من الأرض، غربت عن الجانب الآخر. فمثلًا: إذا زالت الشمس في جزيرة العرب، تكون قد غربت عن أقاصي الصين، وبلاد اليابان. وإذا غربت الشمس في جزيرة العرب، تكون قد ابتدأ شروقها في بلاد أمريكا. ثم إذا زالت الشمس في أمريكا، طلعت على بلاد اليابان والصين. وهلم جرًا.

وكذلك من عبر مغربًا من البحر الغربي الشمالي[1] ينفذ على أمريكا، ثم منها إلى المحيط الهادي، ثم من المحيط الهادي على اليابان ثم الصين، ثم يرجع إلى موضعه، وهكذا في كل مكان.

ومعلومٌ أنه إذا كانت الأرض كروية، كانت محصورة تحيط بها معارف الناس، فدعوى المدعي أن هنا أممًا أكثر من المذكورين المعروفين، وهم على وجه الأرض؛ دعوى مخالفة للدليل القاطع، وما كان كذلك فهو معروف الغلط.

واعلم أنه ليس مع من عارض ما ذكرنا شيء من الأدلة، إلا ما ذكرنا في حديث النواس ابن سمعان. وقد ذكرنا وجهه[2]. وكذلك يظنون أن الأسماء تبقى على الدوام. فلما رأوا أن هذه الأمم لها أسماء مخصوصة؛ كالروس، واليابان، ونحوهم، ظنوا أنهم غير يأجوج ومأجوج. وهذا غلط واضح. فكم تنقلت وتغيرت الأسماء؛ أسماء الجهات، والحكومات والعناصر، وكم تغيرت من اسم إلى اسم آخر، وكم اندمجت أمم بأمم. وقد ذكر المعتنون بأنساب الترك الطورانيين، الذين هم من نسل يأجوج ومأجوج، وأن هذه الأمة لا تزال تندفع شرقًا وغربًا. ومعلوم أن الأسماء تتنقل بتغير تنقلاتها، والعبرة إنما هي بالأوصاف التي ذكرت في الكتاب والسنة. وقد بينا فيما سبق انطباق أوصافهم على هذه الأمم، مع أن الاسم اليوم موجود، فإن اسم بلاد يأجوج ومأجوج الأصلية، وهو بلاد منغوليا، وشرقي تركستان، لا زال معروفًا. وتلك القبائل لا يزال يقال لهم: يأجوج ومأجوج، وهم الآن تبع لحكومة الروس.

الدليل التاسع:

وهو الجامع لكل ما تقدم. وهو أن دلالة الكتاب والسنة الصحيحة، والأوصاف المذكورة فيهما ليأجوج ومأجوج لا تصدق إلا على من ذكرنا من الأمم. وكذلك الأمور الواقعة المقطوع

(١) هو المعروف بـ«المحيط الأطلسي» أو «الأطلنطي».

(٢) تقدم في ص٢٨٢.

بها حسًّا، وعلمًا، كما تقدمت الإشارة إليها وتقريرها. إذا جمعت ذلك كله علمت علمًا يقينيًّا لا شك فيه، ولا ريب أنها واقعة على تلك الأمم، وأنهم المرادون بها، وأنها من براهين رسالة محمد ﷺ. وعلمت أيضًا بما تقدم أنه لا يوجد غير المذكورين من بني آدم على وجه الأرض، وأن من قال: إنهم غيرهم، لم يقله عن علمٍ وبرهان، وإنما هو قول بلا علم، بل مخالف للعلم.

الدليل العاشر:

أن لفظ «يأجوج ومأجوج» واشتقاقه من الأجيج(1) والسرعة، ووصف الشارع لهم بذلك يدل على ما ذكرنا. ولهذا كان الأولى أن يكون اسم جنس، وإن كان طائفة من أهل العلم يرون أنهم طائفة مخصوصة من دول السوفييت، وهم المعروفون الآن بهذا الاسم. فكونه اسم جنس يشملهم، ويشمل من وراءهم، أولى لوجهين:

أحدهما: أن الأوصاف المذكورة في الكتاب والسنة تنطبق كل الانطباق على تلك الأمم المذكورة جميعهم، مثل قوله: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]. والشر الذي وصل إلى المسلمين منهم عامة، وإلى العرب خاصة، ووصف كثرتهم، وكثرة كفرهم، وأنهم أكثر بعث النار، وغيرها مما هو صريح فيهم.

الثاني: أن إخبار النبي ﷺ عن بعث النار، وأنه من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون في النار، وواحد في الجنة، وأن جمهور هذا العدد من يأجوج ومأجوج، لا يتصور أن يكون إلا اسم جنس. ولما كان الإشكال في هذه المسألة قد وقع لكثير من الناس، لم يتضح لهم الأمر فيها، مع أن من نظر إلى أدلتها الشرعية والعقلية لم يَرْتَب، أحببت أن أورد من كلام أهل العصر المعتبرين، والذين لهم المعرفة التامة في هذه الأمور ما يدل على ما ذكر:

(1) ذكر ابن منظور رحمه الله في معاني الأجيج: (وأجّ يؤج أجًّا: أسرع... الأجُّ، الإسراع والهرولة... يأجوج ومأجوج، وهما اسمان أعجميان، واشتقاق مثلهما من كلام العرب يخرج من: أجّتِ النار، ومن الماء الأجاج، وهو الشديد الملوحة المُحرِق من ملوحته.. وهذا لو كان الاسمان عربيين لكان هذا اشتقاقهما، فأما الأعجمية فلا تشتق من العربية: لسان العرب ١/ ٧٧.

فقد ذكر الأمير شكيب أرسلان رحمه الله، في حواشي **حاضر العالم الإسلامي**[1] أن يأجوج ومأجوج هم «المجار»، وهم «المغول». وذكر غزواتهم لبلاد الإفرنج، واندفاعهم إليها، واندماجهم بهم. وقال أيضًا في كتابه الذي سماه **غزوات العرب** المطبوع في ص١٧٠ منه:

(وفي تلك الأيام وصل المجار إلى فرنسة، وملئوا البلاد عيثًا وتدميرًا. ورأى الأهالي فيهم تصديق نبوة حزقيال عن يأجوج ومأجوج[٢] إلى آخر ما قال.

وفي المجلد الأول من **الحلل السندسية** للأمير شكيب ص١٧٨ [٣]:

(وذكر الرازي أن القوط، أي ملوك الأندلس، الذين آخرهم لذريق الذي هزمه المسلمون، من ولد يأجوج ومأجوج بن يافث بن نوح)[٤].

وفي المجلد الحادي عشر من **المنار**، في آخر جواب سؤال ص٢٨٤:

---

(١) كتاب شهير ألَّفه الأمريكي لوثروب ستودار.

(٢) تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، للأمير شكيب أرسلان ص٢٢٠.

(٣) أثبت الشيخ رحمه الله، بقية ما قال شكيب أرسلان في التعليقات الملحقة بالنسخة المتوسطة من هذه الرسالة، وهو كما يلي:
(.. ولما كانت سنة الألف للمسيح، ظن الناس أنها قد أزفت الساعة. وسأل مطران «فردن» ***Verdin*** أحد القسيسين عن صحة هذه المسألة، وهل المجار هم يأجوج ومأجوج أم لا؟ فطمأن القسيس خاطر المطران قائلًا له: إن من أشراط الساعة أن يأتي يأجوج ومأجوج ومعهم شعوب آخرى.
والحال أن المجار جاؤوا وحدهم. فلا تنطبق هذه النبوة عليهم. على أنهم في العيث والتدمير بذوا الأولين والآخرين).

(٤) الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، للأمير شكيب أرسلان. ص١٧٨ منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت، إلا إن عبارته هكذا:
(وذكر الرازي أن القوط من ولد يأجوج بن يافث بن نوح. وقيل غير ذلك) فتعريف القوط من كلام الشيخ رحمه الله.

(هذا، ومن تذكر إغارة المغول التتار، وهم نسل يأجوج ومأجوج، في القرن السابع الهجري على بلاد المسلمين والنصارى، وما أتوه من الإفساد في الأرض، وما أوقعوه بالأمم المختلفة من القتل والسبي والنهب، أمكنه تصور حصول هذا منهم مرةً أخرى، قبل مجيء الساعة، كما قال القرآن الشريف: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ [الأنبياء: ٩٦]... إلخ).

وقد ذكر شكيب أرسلان في حواشي **مقدمة ابن خلدون** و**حاضر العالم الإسلامي** كيفية تسلسل أنساب التتر، ويأجوج ومأجوج والترك، ودخولهم في جملة أهل أوروبا، بعدما كانت مساكنهم في آسيا، فذهب أناس، وبقي في آسيا أكثرهم.

وقد ذكر صاحب **التذكرة** فيها، في الجزء الثاني ص٨٦ لما تكلم عن طبائع الأقطار، ذكر بلاد يأجوج ومأجوج وموقعها، وما يناوحها من الأقطار، في كلامٍ طويل يؤيد ما ذكرنا.

وقال في **مجلة الفتح** (٤٤٠) العام التاسع ٨ محرم، ١٢٥٤ ص٩٦ في الجزء المذكور في مقالة الشيخ محمد سليمان، قال: (جاءت القرون الوسطى، فجاء أهل أوروبا عادين على المسلمين يغزونهم في ديارهم، ويحاربونهم على تخومهم، وفتحت يأجوج ومأجوج. فانسل التتار من الشرق على بلاد الإسلام فاكتسحوها وخربوها وهدموا الخلافة وقتلوا الخليفة. ووقع المسلمون بين شقي الرّحا من الشرق، ومن الغرب في بلاءٍ مبين).

وفي **منجم العمران**، ص٥٨ من الجزء الأول: (ومن الأمم التي عرفت حركات مهاجرتها قبيلة هيونكنو التركية، فإنها أقدم القبائل التي نعرف تاريخ حملها على أمةٍ أخرى، ربما كانت الأمة الهندية الجرمانية، التي كانت قاطنةً بالقرب من يوتي غاته، في الجهة الشمالية الغربية من الصين، فتلك الحملة التي جعلت شأنها الفتح والتخريب، والسلب والنهب، صدرت من السور العظيم المبني لصدها سنة ٢١٤ قبل الميلاد، وامتدت حتى بلغت أقاصي غرب أوروبا، سائرةً في أواسط آسيا في الجهة الشمالية من سلسلة جبال هملايا) إلى أن قال ص٦٢:

(ولما رأى الأوربيون ما رأوا من فتوحات المنغول التي امتدت من سور الصين إلى «كراكو» في أواسط أوروبا، وإلى سواحل البحر المتوسط من غربي آسيا، في ست وعشرين سنة وقع الرعب في قلوبهم). إلى آخر ما قال.

وقال أيضًا في **المنجم** ص٧٢، من المجلد الأول: (اهتمت الدنيا بأسرها بفتوحات روسيا في أواسط آسيا، وإنكلترا باتت في وجل من جراء ذلك. وكانت نهاية حرب روسيا والجراكسة سنة ١٨٦٤، الموافق ١٢٨١ للهجرة، واسطة لهدم الحاجز العظيم الذي كان يمنعها عن توسيع دائرة أملاكها، وهو جبل «قوه قاف» يعني «القفقاس»، وقد تمكنت بذلك من نوال مقصد مهم) إلخ.

وفي **المقتبس** قال المسعودي في كتاب **التنبيه**: (وحد الإقليم الخامس بحر الشام إلى أقصى الروم مما يلي البحر، إلى «تراقية» وبلاد «برجان»، و«الاستبان»، واليأجوج ومأجوج، والترك والخزر واللان والجلالقة) فجعلهم في أرض الترك.

وقال ابن رسته: (الإقليم السادس يبتدئ من المشرق، فيمر على بلاد يأجوج ومأجوج، ثم على بلاد الخزر، وينتهي إلى البحر المغرب) فانظر كيف صرّح بمجاورته لأرض الخزر، وهي معروفة قريب من قزوين.

وقال البلخي في **تاريخه**، صفحة ٥٣٤: (الإقليم السادس: يبتدئ من المشرق، فيمر على بلاد يأجوج ومأجوج، ثم على بلاد الخزر، ثم على وسط بحر جرجان، إلى بلاد الروم.

قال أهل العلم: أما ما وراء هذه الأقاليم إلى تمام الموضع المسكون الذي عرفناه فإنه يبتدئ من المشرق، من بلاد يأجوج ومأجوج، فيمر على بلاد التغرغر، وأرض الترك).

وكل هذا ظاهر. وكلامهم في هذا كثير.

والغرض الأصلي هنا: بيان مراد الله ورسوله، وأن الأوصاف التي ذكرت عنهم في الكتاب والسنة الصحيحة المحفوظة، تنطبق عليهم غاية الانطباق، وأن الواقع يصدق ذلك، ويشهد له، وأن كلام أهل السير والمحققين من الأخباريين، يؤيد ذلك ويشهد له، فعلى من تيقن

ذلك، وعرف دخوله في النصوص أن يعتقده، ويدين الله به. وعلى من أشكل عليه الأمر أن يتوقف عن الجزم بأحد الأمرين نفيًا وإثباتًا، وإذا كان لا بد له من الجزم بأحد الأمرين فليصبر وليتأن، حتى يتدبر الأدلة الشرعية والعقلية، ويعرف الواقع، فإذا جزم بأحد الأمرين مستندًا إلى الدليل فقد أدى ما عليه من اتباع الدليل الصحيح، فإذا جزم بأحد الأمرين مقلدًا لغيره من غير معرفةٍ صحيحة بالمآخذ، فهو من القول بلا علم.

وليس هذا الأصل خاصًا بهذه المسألة، بل جميع المسائل الأصولية تجري على هذا الأصل الذي نرجو الله تعالى أن يتحقق به كل طالب للعلم النافع. ونسأل الله أن يهدينا وإخواننا المسلمين صراطه المستقيم، هدايةً علمية حتى نعرف ما أنزل إلينا من الكتاب والحكمة إجمالًا وتفصيلًا، وهدايةً عملية حتى نسلك الطريق الموصل إلى الله، وإلى دار كرامته؛ بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، إنه جواد كريم. وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

قال ذلك وكتبه العبد الفقير إلى الله من جميع الوجوه، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، غفر الله له ولوالديه ووالديهم، وجميع المسلمين. والحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا. سنة ١٣٥٩هـ.

